الرسالة

(٢ كور ١١: ٣١-٣٣؛
١٢: ١-٩)

يا إخوةُ قد علِمَ اللهُ أبو ربِّنا يسوعَ المسيحِ المبارَكُ إلى الأبدِ أنّي لا أكذِبُ* كانَ بدِمشقَ الحاكِمُ تحتَ إمرةِ الملكِ الحارثِ يحرُسُ مدينةَ الدمشقيّين ليَقبضَ عليَّ* فدُلِّيتُ من كُوَّةٍ في زنبيلٍ في السورِ ونَجَوْتُ من يديْهِ* إنَّهُ لا يُوافِقُني أن أفتَخِرَ فآتي إلى رُؤىَ الربِّ ولإعلاناتِه* إنّي أعرِفُ إنساناً في المسيحِ مُنذُ أربَعَ عَشْرَةَ سنةً (أفي الجسدِ لستُ أعلمُ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلَمُ. اللهُ يعلمُ) اختُطِفَ إلى السماءِ الثالثةِ* وأعرِفُ أنَّ هذا الإنسانَ (أفي الجسدِ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلَمُ. اللهُ يعلَمُ)* اختُطِفَ إلى الفِردوسِ وسَمِعَ كلماتٍ سِرِّيَّةً لا يَحِلُّ لإنسانٍ أن ينطِقَ بها* فمِن جِهةٍ هذا أفتخِرُ. وأمّا من جِهَةِ نفسي فلا أفتَخِرُ إلّا بأوهاني* فإنّي لو أردتُ الإفتخارَ لم أكُنْ جاهلاً لأنّي أقولُ الحقَّ. لكنّي أتحاشى لئلاً يظُنَّ بي أحدٌ

لا تبكي

إذا تأمّلنا في مشهديّة إنجيل اليوم، نرى جمعًا فرحًا يتبع الربّ يسوع، الذي هو الحياة، في طريقه إلى المدينة، في مقابل جمع آخر حزين يتبع شابًّا ميتًا يخرج من المدينة. نشعر في إحدى اللّحظات وكأنّ المشهد والحركة والزمن كلّها توقّفت، لأنّ الحياة تلتقي بالموت عبر التقاء ابن الله الحيّ بابن الأرملة الميت. ترمز هذه الأرملة إلى البشريّة التي تبكي أولادها الذين تسلّط عليهم الموت. لكنّ الربّ، لمّا رأى الأرملة محزونةً، تحنّن عليها قائلاً: «لا تبكي»، وكأنّه يقول لنا جميعًا لا تبكوا فيما بعد.

عندما نعزّي إنسانًا على فقدان قريب، قد نستصعب أن نقول له «لا تبكِ»، لأنّه قد يعتبر أنّنا لا نشعر بألمه أو أنّنا نحاول مؤاساته من دون أن نقدّم له شيئًا حقيقيًّا يعزّيه. كلّنا نقف عاجزين أمام الموت، ونسير وراء موتانا لندفنهم عالمين أنّنا نسير على الدرب ذاته، فاليوم دور فلان وغدًا دورنا نحن. يتسلّط الموت علينا جميعًا، فأيّة تعزية نستطيع تقديمها ونحن كلّنا نحتاج إلى مَن يعزّينا. عندما قال الرب يسوع للأرملة: «لا تبكي»، جاءت دعوته إلى عدم البكاء بعد أن تحنّن عليها وأحسّ بألمها. لكنّه، على عكس الآخرين الذين كانوا يرافقونها حزانى وعاجزين، هو الوحيد الذي يستطيع تغيير وضعها. وبما أنّ الربّ هو الذي فتح أمامنا طريق القيامة، نستطيع نحن بدورنا تقديم تعزية حقيقيّة لمن يواجهون موت أحد أحبّائهم، بهتافنا: «المسيح قام».

العدد ٤٠ / ٢٠١٨

الأحد ٧ تشرين الأول

تذكار الشهيدين سرجيوس وباخوس

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

عندما التقى الربّ بابن الأرملة، تقدّم ولمس النّعش فوقف الحاملون. نحن البشر، منذ ولادتنا، نسير نحو الموت، أمّا الربّ فيأتي من الجهة المعاكسة ليوقف مسيرة الموت. وحده الربّ يسوع يستطيع إيقاف هذه المسيرة، أمّا باقي البشر فهم مشاركون فيها رغمًا عنهم. ربّنا هو ينبوع الحياة الذي نزل من السماء ليرفعنا معه إليها، أمّا نحن الأرضيّين، إن لم نسر مع الربّ، فسنعود إلى الأرض التي منها خُلِقنا. توقّفت مسيرة الموت حين لمس الربّ النّعش، أي الخشبة التي يحملون عليها الموتى، من جهة

ثانية سيرتفع الربّ بدوره على خشبة الصليب التي سيموت عليها باختياره ليخلّص كلّ المؤمنين به مِن تسلّط الموت، ويوقف مسيرة الموت السارية على جميع الناس من دون أيّ أمل بالنّجاة. هذا السلطان على الموت هو الذي يجعل الربّ يختلف عن الآخرين عندما يقول للأرملة: «لا تبكي». ليست تعزيته لنا في تعاطفه معنا فقط، بل في قدرته على تغيير واقعنا المرير.

تدخّل الربّ، في إنجيل اليوم، من دون أن يطلب منه أحد ذلك، بل لمجرّد رؤيته حزن الأرملة. هكذا في حياتنا، يتدخّل الربّ أحيانًا إستجابةً لصلواتنا أو بناء على طلب الآخرين المصلّين من أجلنا، إلاّ أنّه يتدخّل أحيانًا كثيرة من دون أن يطلب منه أحدٌ أو دون أن نلاحظ تدخّله، ذلك لحكمته وتقديره للوقت المناسب حيث تكون الإفادة الأكبر لخلاصنا. «أيّها الشابّ لك أقول قم»، هكذا بكلمةٍ أقام الربّ ابن الأرملة، وهو يستطيع أن يقيمنا بكلمةٍ من موت الخطيئة. لا يقوى الإنسان المائت على الحراك، ونحن، عندما تتسلّط علينا الخطيئة، قد نجد أنفسنا مثل المائت الملقى على النّعش والعادم القدرة. وحده الربّ يقيمنا من موتنا وعجزنا، هو الذي تجسّد ليعيد لنا الحياة ويمنحنا القدرة على مواجهة الموت باتّكالنا على صليبه المحيي وقيامته.

قد يسأل البعض: لماذا أقام الربّ ابن الأرملة ولا يقيم أحباءنا الذين فقدناهم؟ أظهر لنا الربّ، من خلال إقامته ابن الأرملة، أنّ له سلطاناً على الحياة والموت، تاليًا، عندما سيقوم بسلطانه الذاتيّ، يتقوّى إيماننا بالقيامة التي وعد بها «أنا هو القيامة والحياة، مَن آمن بي ولو مات فسيحيا» (يو ١١: ٢٥). الشاب الذي أقامه الربّ يسوع في إنجيل اليوم مات مجدّدًا في وقت لاحق. ما ينفعنا حقًّا هو أن نقوم من موتنا الروحيّ لا الجسديّ. لذلك، إذا أردت أن تتبع الربّ فسيقول لك: «دعِ الموتى يدفنون موتاهم، وأمّا أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله» (لو ٩: ٦٠)، لأنّ الهدف هو أن نكون من أبناء الملكوت، عندئذٍ ننتصر على الموت وتكون لنا تعزية حقيقيّة. الموت الجسديّ حاصل لا محالة، لكنّه لم يعد يتسلّط علينا أو يرعبنا لأنّنا رأينا الربّ يقيم الموتى، ثمّ رأيناه غالبًا الموت بجسده وقائمًا من الموت، فاتّحا لنا أبواب الملكوت السماويّ. لذلك، نحن المؤمنين، متيقّنون أنّ مَن يؤمن بالمسيح يحيا معه منذ الآن ويبقى معه بعد الموت إلى أن يجيء اليوم الأخير، يوم القيامة العامّة، «فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيّئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٩).

قيامة الموتى عند حزقيال النبي

من أبرز أنبياء العهد القديم الكبار، النبي حزقيال الذي كان كاهنًا لله العليّ من قبيلة لاوي، وعاش في القرن السادس ق.م. حيث قضى غالبيّة حياته مسبيًّا مع الذين أجلاهم نبوخذنصّر إلى بابل عام ٥٩٩ ق.م. بعد سقوط أورشليم. تلقّى حزقيال من الله دعوة النبوّة في سنّ الثلاثين.

ثمّة تأكيد واضح في كتاب

فوقَ ما يراني عليهِ أو يسمَعُهُ منّي* ولئلّا أستكبرَ بفَرط الإعلاناتِ أُعطِيتُ شوكةً في الجسدِ ملاكَ الشيطانِ ليلطِمني لئلاّ أستكبرَ* ولهذا طَلَبتُ إلى الربِّ ثلاثَ مرَّاتٍ أن تُفارِقَني* فقال لي تكفيك نِعمتي. لأنَّ قوَّتي في الضُّعفِ تُكْمَلُ* فبكُلِّ سرور أفتَخِرُ بالحريّ بأوهاني لتستقِرَّ فيَّ قوَّةُ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمانِ كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها ناينُ وكان كثيرون من تلاميذهِ وجمعٌ غفيرٌ منطلقينَ معهُ* فلمَّا قرُبَ من بابِ المدينةِ إذا ميِّتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأُمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّنَ عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعشَ (فوقف الحاملون). فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قُمْ* فاستوى الميِّتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمَهُ إلى أُمِّهِ* فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلينَ لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتقدَ اللهُ شعبَهُ.

تأمل

«لا يوافقني أن أفتخر». ألا تعلم ان المادح نفسه

لا يمدحه الله؟ إذًا يجب أن نتجنب ذكر حسناتنا لأن ذكرها يجعلنا مكروهين ومذنبين أمام الله. فمتى كثرت الأعمال الصالحة وجب أن يكون الكلام عنها أقل. وبهذه الواسطة نقدر أن نحصل على المجد العظيم من الله والناس. وإننا لا نحصل على المجد من الله فقط بل على شيء أفضل، على الجائزة، وعلى المواهب العظيمة. لا تطلب الجائزة فتحصل عليها. اعترف انك تتخلص بواسطة النعمة فيصبح الله مدينًا لك عن أعمالك الصالحة وعن اعترافك بالجميل أيضًا. إن فعلنا الخير وحده يكون الله مدينًا لنا عنه فقط؛ لكن إذا لم نفكر بما فعلنا من أعمال الخير فقد يكون مدينًا لنا عن هذه العاطفة أيضًا أكثر من العمل نفسه. إذًا، هذه العاطفة الشريفة تعادل عمل الخير، ومن دونها لا قيمة حتى لأعمال البر. هكذا يكون عطفنا أكثر على خدمنا حينما نراهم يخدمون بإخلاص ظانين أنهم لم يفعلوا بعدُ ما يرضينا.

وهكذا، إن شئت أن تكون أعمالك الصالحة عظيمة تصورها حقيرة حتى تكون عظيمة. إن قائد المئة قال ليسوع: لست مستحقًا أن تدخل تحت

النبيّ حزقيال على أنَّ معايير الله مغايرة كليًّا لتلك التي للبشر. يمكننا، من خلال دراستنا للسفر، أن نقسم النبوءة إلى ثلاثة محاور أساسيَّة. الأوّل نرى فيه حكم الله على شعب إسرائيل الذي هجر الله وقسا قلبه وصمَّ أذنيه عن تنبيهات الله المتكرّرة فاستحقّ التّأديب. الثاني يحكم الله فيه على الأمم الوثنيّة التي استكبرت بدورها وتجبَّرت وشمتت عندما نظرت ما حلَّ بإسرائيل. أمَّا الثالث فيشعر فيه شعب الله برجاء إلهي إذ قد منحه الله البركات ووفرة الخيرات بعد انتهاء التأديب. نرى، في المحور الثالث، كيف سيعيد الله لمّ شمل الشعب الجديد ويبني لهم مدينة جديدة أعظم من الأولى وهيكلاً جديداً أبهى من الأول.

نقرأ في المحور الثالث النبوءة الرابعة التي نطق بها حزقيال، أي «رؤيا وادي العظام اليابسة» (حز ٣٧: ١-١٤)، التي تحتوي على أوضح الدلائل الكتابيّة على قيامة الأجساد. نلتمس من خلالها ملء الرجاء. الله، الذي يعيد الحياة إلى العظام اليابسة المبعثرة، عينه على أبنائه ولا يهمّه سوى خلاصهم مهما اشتدَّت الصعوبات. لذلك، رتَّبت الكنيسة أن تُقرأ هذه النبوءة في خدمة جنّاز المسيح لِما تحويه من عمق التعبير عن معنى الخلاص الذي حقّقه الله عبر موت الرب يسوع وقيامته من بين الأموات. قيامة المسيح هي باكورة قيامتنا، لأنَّ المسيح غلب قوّة الموت بموته وقيامته وأعطى كلّ النّاس عطيّة القيامة الآتية.

تحقّق خراب المدينة والهيكل الذي تنبّأ به حزقيال في الإصحاحات السابقة، باجتياح الملك البابليّ نبوخذنصّر أورشليم، وقد جعل من المدينة حطامًا. أصبح كلّ شيء يشير إلى أنَّ الحياة قد أُبيدت، وحكاية الله مع شعبه قد انتهت. حلَّ الدّمار وأُبيد الهيكل، ولم تعد الأمّة موجودة لأنَّ أعضاءها قُتلوا وتبعثروا على وجه الأرض كمجموعة عِظام (مز ١٤١: ٧). أصبحت عودة الشعب إلى الحياة مستحيلة. لكن، في ظلّ غياب أيّ مؤشّر بشريّ يوحي بالرجاء، إذ اضحت العظام يابسة كون الشعب مات منذ زمن بعيد، يعلن النبيّ حزقيال الخلاص الذي سيحقّقه الله. سيعيد الله تكوين الشعب المتحوِّل ركاماً بروحه القدّوس فيحييه ويجعله جيشاً عظيماً.

يقول القديس أثيناغوراس (من الآباء المدافعين، ق.٢)، في عظته حول قيامة الأموات، إنَّ الرومان، بسبب مركزيَّة قيامة الإنسان بالجسد، كانوا يتفنّنون بقتل المسيحيّين، فيوثقونهم بحبال مع حجارة ويرمونهم في البحر لتأكلهم الأسماك، وكانوا يقولون للمسيحيّين: «لنرَ كيف ستقوم أجسادكم يومَ القيامة». كان المسيحيّون يجيبون بأنّ الله الذي خلق من العدم لا تصعب عليه إعادة رفات أولئك الناس من رياح الأرض الأربع وإتمام القيامة.

يقدّم النبي حزقيال حدثاً عجيباً لقيامة الأجساد حيث يوضح أنّ العِظام اليابسة، بمجرّد سماعها كلمة الله، اكتست بالأعصاب واللّحم والجلد، ثمَّ هبّت فيها الروح التي كان قد نفخها الله في الإنسان عندما جبله من تراب. يقول أحد الآباء إنَّه كما حصل في إبداع آدم، كذلك يحصل في إعادة

إبداعه. تُظهر هذه المعجزة الخارقة بالنسبة للقدرة البشريّة عظمة القدرة الإلهيَّة، وكيف ستكون قيامة الأجساد عند المجيء الثاني للمسيح.

يقول الرسول بولس عن حالة الجسد عند قيامة الموتى: «يُزرع في هوان ويُقام في مجد، يُزرع في ضعفٍ ويُقام في قوّةٍ، يُزرع جسمًا حيوانيًّا ويُقام جسمًا روحانيًّا» (١ كور ١٥: ٤٣-٤٤). يعلن المسيح أنَّ الناس لن يكونوا شهوانيّين في الحياة الآتية. معروفٌ أنّ الإنسان لبس بعد السقوط فسادًا وموتًا، تاليًا فإنّ طريقة الحَبَل بالإنسان وولادته تنتمي إلى الحياة الساقطة، التي باركها الربّ من خلال سرّ الزواج المقدّس من أجل تكاثر الجنس البشريّ. ولكن، بعد القيامة، ستُلغى هذه الحالات ويعيش الناس مثل الملائكة. تكلّم الربّ يسوع على هذه الحياة بقوله: «لكنّ الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوّجون ولا يتزوّجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنّهم مثل الملائكة، وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة» (لو ٢٠: ٣٥-٣٦).

نرتّل في إحدى قطع التعزية (ترانيم نظمها القديس يوحنا الدمشقي تُرتل في خدمة الدفن): «تذكّرت النبيّ الهاتف: أنا أرض ورماد. ثمَّ عدت وتفرَّست في العظام فنظرت العظام المجرَّدة فقلتُ: يا ليتَ شعري، أيّما هو الملك أو الجندي؟ وأيّما هو الغنيّ أو الفقير؟ وأيّما هو الصدّيق أو الخاطئ؟ فأرح يا ربّ عبدك مع الصدّيقين». تتجاوز هذه الصورة صورة العظام وتتكلّم على القبور. تصف بصورة حيَّة حالة الإنسان في القبر، كحالة اليهود المسبيّين الذين تكلّم عليهم حزقيال. لكن، عندما يحقق الربّ قيامة الشعب من الموت، يحرّره منه ويمنحه الخلاص المعدّ منذ إنشاء العالم. متى قبل المؤمن أن يموت عن ذاته القديمة، أي متى قبِل أن تُستأصل منه الخطيئة، لا يشفى وحسب بل يتحرَّر بكليّته «وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل في أحشائكم روحاً جديداً وأنزع من لحمكم قلب الحجر وأعطيكم قلباً من لحم» (حز ٣٦: ٢٦).

إصدارات

صدر عن دار المطرانية تقويم العام ٢٠١٩ الذي يحتوي على الأعياد الكنسيَّة وأيام الأصوام والصلوات وغيرها من المواعيد التي تهم المؤمنين.

كذلك نذكّر بكتاب «أين أنت يا آدم؟» الذي هو عبارة عن أحاديث روحية حول التوبة وسر الإعتراف إنطلاقاً من الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة وصولاً إلى كيفية عيش التوبة في حياتنا اليومية.

يُطلب هذان الإصداران من كافة كنائس الأبرشية ومن مكتبة الرجاء.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

سقفي لكن قل كلمة فيبرأ غلامي! (مت ٨:٨) لذلك استحق النعمة وحصل عليها أكثر من جميع اليهود. وقال بولس: أنا الذي لست أهلًا أن أدعى رسولًا (١ كور ١٥: ٩) وبهذا صار بولس أول الرسل القديسين وقد قال يوحنا المعمدان: لست أهلاً أن أحل سيور حذائه (لو ٣: ١٦) وبهذا أصبح صديق العريس، وتلك اليد التي تعد أهلاً لحل سيور حذائه استحقت أن توضع على هامة المسيح. وقال بطرس اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ (لو ٥: ٨) ولذلك أصبح أساس الكنيسة فلا شيء يسر الرب أكثر من أن يحسب الإنسان نفسه في عداد الخطأة، فهذا العمل هو عين التواضع. إن المتواضع والمنكسر القلب لا يتعجرف ولا يغضب ولا يحسد قريبه، وبالإجمال لا يعثر أبداً. لا تقدر أن ترفع ذراعك المكسور إلى فوق مهما حاولت، كذلك النفس المنكسرة لا تنهض ولو مرت أمامها مئات الشهوات.

القديس يوحنا الذهبي الفم